كان كثير اللعب بالشطرنج لم يكن من يلعب به مثله في بلده فلم اكثار يقولون ابو بكر الزهري الشطرنجي فكان اذا لقي ذلك اباه وتعصب عليَّ فقلت في نفسي لا بد ان اشتغل عن هذا الشيء بشيء من العلم لاعنت به ويزول عني وصف الشطرنجي وقلت ان الادب وصنعة الادب لو اشتغلت به عمري كله لم يجعلني منه وصف اعرف به فصرت الى ابي مروان عبد الملك بن زهر واشتغلت عليه بصناعة الطب وكنت افضل بلده واكتب الى بلده متعرضاً من الوصف الرفيع واشتهرت بعد ذلك بالطب وزال عني ما كنت اكره الوصف به وهذا هو السبب والعلة في اشتغال كثير من اهل الوقار والعلم بهم لمن ذكر من علم الموسيقى والضرب في العود وغيره من انواع اللعب ولولا التقية لا تنمي الى اسماء كثير ممن تعلقوا بهم من رجال العلوم السارحة على ان الشرف كله للشيرازي ولا مانع من القول والتعيين اذا ما رأيهما انتقتح بحالة السلامة والرذيلة .

اما الملوك والامراء الذين عنوا بالموسيقى قديماً فاكثر من ان يحصوا منهم يزيد ابن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك وابو عيسى بن الرشيد وعبد الله بن موسى الهادي والواثق بن عيسى بن جعفر المنصور ومحمد بن جعفر المقتدر والمتوكل والمهدي والمؤيد وطلحة الموفق والمنتصر والمقتدر وابن المعتز وغيرهم من الخلفاء المتأخرين والله اعلم .

قوى النساء

كتب باولو منتيغازا العالم الايطالي مقالة في المجلة الباريزية قال فيها ما تعريبه : حكم الناس منذ قرون ان الرجل من الجنس القوي والمرأة من الجنس الضعيف . بجميع مظاهر النشاط والمتانة والقوة الطبيعية من امتيازات الرجل . عضلاته كالفولاذ ويحمل السيف ويحارب ويتسلق الجبال الخطرة ويقتحم الخطر وهي في اشد الوانها ويرى الموت وجهاً الى وجه .

اما المرأة الضعيفة المزاج فانها ترى ان قصر ساق زنبقة يعد منها قوة فهي التي تغمى عليها وهي جالسة على الكرسي وتصرخ مذعورة اذا رأت عنكبوتاً او فأرة . فلنا ان نسأل السائل من اين تنبعث قوتها اي جوهر شجاعتها ومقاومتها ورباطة جأشها

على ان المرأة في الغالب تظهر بمظهر الغيرة والاخلاص وسلامة العقل وانكار النفس والشجاعة وكل ما يعرف به الانسان الخارق العادة .

القوة والمتانة الطبيعية هما اساس القوة الادبية وشرط لازم لها وقد ابان التاريخ والاحصاء والبحث بان المرأة ليست دون الرجل في المقاومة الطبيعية للامراض والاوجاع والاتعاب فاننا نرى النساء المتوحشات البربريات يقمن بأشق الاعمال فيحرثن الارض ويطحن الحب ويحملن الاثقال بينما هن مرضعات او حاملات .

ومن الغريب انا نرى الضعف في النساء والقوة في الرجال عند بعض الشعوب المتوحشة على صورة معكوسة فنرى المرأة عندهم لتضع ولداً فلا تلبث ان تنهض وتتولى في الحال اعمالها على حين يبقى زوجها في الفراش كالنفساء وهذا ما دلت على مشاهدته التجارب .

ولا نرى النساء في بلاد الهرسك يقرن بالسكة بدل الثور كما نراهن في بلاد الالب يتقلن احمال الماء عوضاً عن البغال .

وليس من رياضة بدنية صعبت وانتقصت صاحبها من المرأة والثبات والشجاعة الا قامت به المرأة بنشاط وبرزت في مضماره اي تبريز . فتراها تركب الخيل وتسبح وتلعب بالسيف وتركب الدراجة وترتاض في الجبال وكل ذلك ما يقتضي له عدا اعصاب من حديد ومقاومة فائقة حضور ذهن وحذر واحتقار للموت اي ما لا يمكن القيام به الا اذا اتفقت القوة الطبيعية مع القوة الادبية .

وهناك احوال كثيرة لا تدعوها رياضة لما يقتضي لها من النشاط والشجاعة والثبات في المرأة واعني بذلك اكتشاف البلاد الجديدة لما فيها من المخاطر وما ينبغي لدخولها من الجرأة . ومن الناس من يظن ان مجد الاكتشاف لا يحرزه الا الرجال على حين هناك عدد كبير من النساء المكتشفات والسائحات اللاتي لم يهبن الاخطار واستهن بكل ما ينبغي التجائه .

فقد رأينا العقيلة كودرو طافت مع زوجها اقطار غوبانا الموبوءة واجتازت نهر البراز بين الاهوال بالهنود ومات زوجها سنة ١٨٩٩ فلم تكن اقل منه مثابرة على السياحة وحدها . وليفنكستون وهو اعظم سائح افريقي في عصرنا كانت ترافقه زوجته في اكثر رحلاته وهي التي انقذته من الهلاك في شوبانكا ووقفت كالابطال وهي لا تريد ان تغادره في الزامبيز . وقد اكتشف بكير سنة ١٨٦٤ نهر البرت نيانزا وكانت زوجته اكبر

[illegible] مع زوجها [illegible] سنة ١٩٠٢ الى القطب الشمالي وهي على قلة ما لقيته من الراحة في تلك الرحلة استطاعت ان [illegible] . [illegible] الى [illegible] ، وطافت [illegible] آسيا الوسطى ، وكانت زوجة [illegible] الاصلي [illegible] رحلتها [illegible] الاولى [illegible] الى الآخر وقفت [illegible] لا تخالف [illegible] ولا [illegible] .

[illegible] كل من [illegible] زوجها [illegible] في [illegible] وكانت [illegible] خطرة [illegible] لصوص من اهل [illegible] في [illegible] مدينة [illegible] .

هذا ولا [illegible] المرأة الرجل [illegible] والجليد [illegible] الى [illegible] . فقد عرفت [illegible] الحربية [illegible] في القرن الخامس عشر [illegible] بعد ان رأت زوجها [illegible] وقاومت [illegible] قيصر [illegible] .

[illegible] من [illegible] لا يقل عددهن عن ثلاثة آلاف [illegible] الاولى [illegible] بالرياض . [illegible] في الدفاع عن [illegible]

مدينتهن وها كلين روشس عرضت حياتها للخطر تحتاً في قاربها المخاز اللازمة سان ايمار خلال حرب انتقال التنث الامرابي ·

ولكم من امرأة اشتهرت بإقدامها وشجاعتها بحيث يكاد ينكر عليها المرء ما يصدر عنها وهي التي عرفت بالضعف ووصفت بكثرة التأثر وكان الذي يحملهن في الغالب على تحمم المهالك تعصب ديني او كراهة الظلم او حب الحرية بقيمهن وتتصحهن · ولى هذا رأينا شارلوت كوردي فادت بنفسها وقتلت مارات الظالم وحدها ولما سئلت عما انت اليك هذا ان حب الحرية علمني اسباب الوصول الى الظالم لاقتله · » وقالت « ما انحس بلاد كفرنسا يصعب فيها من امرأة تفادي بحياتها دفاعاً عن بلادها · »

ومن النساء صاحبات النزعة الادبية يخرج اولئك الروسيات الفتيات متخليات عن ثروتهن وراحتهن ورفاهيتهن في قصورهن الآمنة الوادعة منذرات حتى انفسهن الدعوة الى الثورة · يعرف الناس اسم صوفيا بوروفيسكايا التي مشت الى المشنقة هادئة دون ان يبدو عليها الضعف ساعة · ويذكرون فيرا ساسولتش التي قتلت القائد تريبوف جلاد العدميين في روسيا ورأتها محكمة المحلفين فاقرت بانها كانت تؤثر ان يحكم عليها لانها تكون اذ ذاك آمنة من انها عملت ما تقدر عليه للدفاع عن حقيقتها · وقضت الفتاة فيرافيجر البديعة الطلعة المحبة الى النفوس ست سنين وهي تدبر جميع المكائد التي حدثت في روسيا تجتاز البلاد من اقصاها الى اقصاها وهي تحمل قذائف في مشدها وتختبئ متوارية عن انظار رجال الشرطة ولاخذ اوراق ومستندات محظورة · وقد سجنت هذه الفتاة الشابة التي خلقت للحركة والاضطراب والشجاعة والثورة عشرين سنة في سجن شلوسبورج وخرجت منه بحماستها الاولى ومراميها التي طالما سعت لها سعيها ·

ويرى العدميون (نيهيلست) ان من الاخلاق التي فطر عليها النساء فكانت من قواهن الادبية انهن اذا سجن والرجال في الحبوس او نفين الى سيبيريا يعشن اكثر من الرجال ولا ييأسن كالرجال على حين يموت الرجال او ينتحرون او يجنون لا قليلاً ويغضبن من وحدتهم ومن بعدهم الى الابد عن عالم الاحياء ·

ولعل احدهم يقول ان امثال هؤلاء النساء هن من النادرات يرزقن ملكة الحب والمعاداة والمقاومة وانه قد ينشأ مثلهن وكم ترى في النساء من النابغات في الادب كجورج ساند والبصالات بروفيك وجورج اليوت وبشير ستاف ومدام هومفري وارد

كثير من الاديبات اللاتي يفقن النابغين في الرجال بل ان النساء والرجال ايضاً الذين اشتهروا بتراجم الادباء والحكام السياسية لا ينسى الا في مجتمع او بيئة دور يكون فيه مستوى المكارم والآداب راقياً جداً .

وقد اشغل الباحث ان ضعف النساء من الشجاعة على جانب عظيم اذا نميت فيهن هذه القوة اتين بالاعاجيب ولكن من ينظر الى النساء نظراً مجرداً من التدقيق يراهن الى الرياء والضعف والجبن والتعلق باهداب الامور التافهة والالاعيب الصبيانية .

والفرق عظيم بين القوة الادبية في الرجل ويماثلها في المرأة فالرجل ينشأ على ذلك بالفطرة او بالتربية ويبقى كذلك مهما تقلبت حياته او تصعدت بيد ان الرجال الاقوياء من حيث الطبيعة بل من حيث الأدب هم الذين تصورهم . والمرأة لا تبدي قوتها الادبية عندما تكون حياتها سعيدة او هادئة الا ان الحاجة اذا مست واظلها شقاء وبؤس ومرض في اسرتها يتقلب كيانها في الحال ويصبح النسيمات والرخوات منهن نوبات شديدات يقاومن المصاعب اي مقاومة ويطعن صدور العوائق بسلاح قد يكون غير ماض ولكن له من الحمية الموقدة ما يشحذ غراره ولا يطفأ اواره .

ولكم شهدنا النساء يأتين من ضروب الشجاعة حين الحاجة ما لم يخطر بالبال ولكم رأينا امثال كان ازواجهن على جانب عظيم من سوء الاخلاق والعشرة معهن ولكن صابرات على الاذى حتى اذا فقد بعولهن ثروتهن وسيقوا الى السجون والمشانق يعطفن عليهم ويأخذن في الانفاق عليهم من كدهن وعملهن .

ورأيت مرأة اخرى كانت شريرة الطباع نكدة زوجها ونسي عشرته فالأشاع بأنه راحت وهي في سن الاربعين تراجع دروسها التي تعلمتها في صباها وتقدمت لنيل شهادة التعليم واخذت منذ ذلك الحين تصرف على زوجها واولادها من كسبها القليل وتعمل باعمال الطبخ والبيت بيدها وتشتغل من الصبح الى المساء وكانت من قبل لم تترك تغسل يدها بالماء ولا ترفع شيئاً بنفسها اما زوجها فبقي سنين يعيش من كدح زوجته يلعن الزمان ويدخن الدخان ولا يفارق داره الا للنزهة .

ورأيت امرأة اخرى كان زوجها احد رجال الادارة وكانت مرفهة تعيش عيش الاميرات فأصيب زوجها بالروماتيزم فاخذت تمرضه وتعنى به بنفسها ثاني عشرة سنة ليل نهار حتى انها لم تنزع عنها لباسها خلال العشر سنين الاخيرة لتكون على مقربة من سرير زوجها وتقوم بخدمته حق القيام بل انها قضت

بعض السنين الاخيرة ولم تخرج الى الشوارع حتى صار منظر المركبات والقطارات في عينها غريباً . كلمتها ذات يوم وانا اعجب بها فقالت لي انها لم تسأم قط لانها ادركت انها تقوم بواجب وكانت كل ساعة من ساعاتها وقتاً ما يشغلها فيه وانها لم تمرض منذ اخذت في تمريض زوجها وكانت تغتبط عندما ترى زوجها يشكرها بعينيه عنايتها به قالت وكنت مجيدة ان اتوفر على اطالة حياته فلما قضى نحبه لم يبق لي مطمع في الحياة واسفت عليه كثيراً وان ادركت ان آلامه انتهت بالموت .

وغريب امر النساء في عاداتهن بكل عزيز عليهن في سبيل ما يوطدن النفس على القيام به فاذا انصرفت اذهانهن الى عمل من مثل ما تقدم يزهدن في الملاذ والبنين والبنات ويتسين ان حملهن ثقل زائد وانهن يقصفن حياتهن بعاداتهن ولكن ما يهمهن هو ان يمتن فيما صرفن وكدهن له وليس الرجال كذلك ولعلهم يؤثرون الانصراف الى عمل عام اكثر من الميل الى عمل خاص .

اعرف أسرة غنية كان لها ابن كف بصره فارادت ان اصحبه رفيق فاختارت له ابن بستانيها وجعلته له ترباً يغدوان ويروحان معاً فدرسا الحقوق معاً وصرفا على هذه الحال منذ كان الاعمى ابن عشر سنين الى ان صار ابن اربع وعشرين سنة ولما اتما دراسة الحقوق اتخذا لهما مكتب محاماة وقضيا فيه سنتين ولكن ابن البستاني ضاق ذرعه من تحمل صاحبه والتخلي عنه وان كان طيب السريرة ولم ينس ايادي أسرته عليه قائلاً ان السأم اصابه فلا يتحمل عشرة صاحبه .

كما اعرف رجلاً غنياً فقد زوجته وهي تنفع له ابنة لم تحدثه نفسه يوماً ان يعنى بتربية هذه مع انه كان يحبها حباً جماً وما ذلك الا لان الرجال يلاقيه من قوة ادبية يأتي من الاعمال ما يزيد نتائجه الاجتماعية اكثر مما تقوم به المرأة مع شخص . وعلى ذلك فالواجب على الرجال ان يشفقوا على النساء اذا رأوهن يعشن في الاحايين عيشاً ساذجاً . المرأة لا تترع بها نفسها الا ان تكون خادمة خاضعة تقوم بوظائفها اليومية المحدودة ولكنها حين الحاجة يكون شأنها ان تقال فتكون ملكة وليس غير المصائب تحملها على تغيير كيانها فعلى الرجل ان يحترمها في حال بؤسها وسعادتها .